وزارة التعليم العالي والبحث العليم

جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الإنسانية

قـــــــــسم الجغـــــــرافية

المحاضرة السابعة

مفهوم المجتمع الريفي وخصائصه

م.د اسراء حاتم امين علي

مفهوم المجتمع الريفي وخصائصه

يعرف الريف على أنّه المنطقة الزراعية، ومن أبرز ما يميزها تلك المناظر الطبيعية والزراعية الممتدة، ويختلف الريف عن المدن من حيث الشكل، والتجانس، والطبيعة السكانية، والناحية التعليمية، والحراك الجماعي. يعيش الريف في كافة دول العالم حالةً تبعيّةً كاملة للمدن الرئيسية؛ لتركّز كافة الخدمات الحيوية فيها دون الريف، وهذا الأمر هو الذي يدفع سكان المجتمع الريفي إلى ترك مناطقهم والهجرة للمدن.

وبهدف تحديد المجتمع الريفي فقد اعتمدت الأبحاث الأمريكية صفةً واحدة لتحديد مفهوم المجتمع الريفي، وهو وضع تعريف له على أساس إحصائي، الأمر الذي يسهل على الباحثين والدارسين والمهتمين في الشؤون الجغرافية والاقتصاد والإحصاء من تحديد البيانات الخاصة بكافة المناطق الريفية، فقد اعتبرت تلك الدراسة أنّ المجتمع الريفي هو الذي يقل عدد سكانه عن ألفين وخمسمئة نسمة، والمنطقة التي يزيد فيها عدد السكان عن هذا الرقم فإنّه يكون مجتمعاً غير ريفي حتى لو زاول سكانه الأعمال الزراعية كنشاط. أما في قارتي آسيا وإفريقيا فكثير من الدول هناك تعتبر المجتمع الريفي هو الذي يمارس سكانه حرفة الزراعة والإنتاج الزراعي، بغض النظر عن عددهم والمساحة التي يشغلونها، وهذا ما يسمى بالمعيار المهني.

تطرق العلامة ابن خلدون لأوجه الشبه والاختلاف بين المجتمعين الريفي والمدني لإحدى الدول العربية في مقدمته الشهيرة "مقدمة ابن خلدون"، وقد جذبت رؤياه الكثير من العلماء والباحثين الغربيين، ومن أبرزهم العالم الألماني فريديناند تونيز ، الذي لاحظ أوجه الاختلاف بين كلا المجتمعين وأعطى لكل واحد فيهم صفة، فقد أطلق على المجتمع الريفي اسم المجتمع العائلي"؛ لتقاربه واتحاده في الدم والنسب، بينما أطلق على المجتمع الحضري أو المدني اسم المجتمع الرسمي العقائدي"، وأوضح أنه مجتمع غير متماسك أو مترابط، وهو عبارة عن خليط متنوّع من البشر. أما العالم الفرنسي "إميل دوركهايم" قد ميّز أوجه الاختلاف بين المجتمعين ضمن عددٍ من الصفات، ومن أبرزها العلاقات الاجتماعية في المجتمع الريفي، حيث أوضح أنها علاقات متشابكة ومترابطة، حيث تجمع الأفراد على أساس القرابة والدم والدين، بينما يتسم المجتمع المدني أو الحضري بعلاقاته الروتينية الرسميّة النفعية في طريقة التعامل.

يمثل الاستيطان الريفي في مجال دراسته لأنماط المساكن والمستوطنات الريفية وتوزيعها وتطورها، ومن هنا ظهرت محاولات "هاند لين" البحثية والدراسية لعدد من المواصفات المستقلة التي تنطبق على كافة المجتمعات الريفية في شتى أرجاء العالم، وقد أظهرت الدراسات نوعين من المجتمع الريفي، هما:

1- مجتمع ريفي بسيط ويتسم هذا المجتمع ببساطته إلى حدٍ ما في العادات والتقاليد والأعراف،

ويتميز الفرد فيه بارتباطه بشكل كبير في الأرض أو الطبيعة، حيث يستقر فيها ويبني حياته هناك برغم الكد والتعب والصراع مع الأرض والطبيعة، ويتسم الفرد باعتزازه بتلك الأرض كونها مصدراً لرزقه، ويرى أنه كلما زاد اهتمامه وعطاؤه للأرض فإنّ عطاءها يتضاعف، ويزيد حجم ثروته.

2- مجتمع ريفي معقد ويتسم هذا المجتمع بحياته المعقدة الصعبة المركبة، وهو محكوم باحترام الوقت والذات والنظام من خلال روتين ممل ومتعب للجسد والعقل، أما طبيعة العلاقة في هذا المجتمع فهي مبنية على المصالح والمنافع المتبادلة. إضافة لهذا فإنّ المظهر الخارجي لهذا المجتمع معقد ومليء بالأبني

والقطع الخرسانية التي تزيد من الأزمة، والضوضاء

عاش الإنسان في بداية تاريخه وحيداً، ومتنقلاً، باحثاً عن الطعام والأمان، ومحاولاً استكشاف كل ما يدور حوله، ثم بدأ العيش ضمن جماعات صغيرة، كالأسرة، والتي لا تمتلك قدرته في الحركة الدائمة والتنقل، مما دعاه إلى الاستقرار في مكان واحد يحتوي على أغلب احتياجاته من الطعام والشراب، والمأمن، ثم تشكلت الأسر المتقاربة، والمؤسسة للعشيرة، والتي توسعت مكونةً للمجتمع الريفي، وهذا التطور الواقع لم يتكون إلا بعد مروره بمرحلة البحث عن الطعام، ومن ثم الصيد، ويليها مرحلة الوعي، وأخيراً مرحلة الزراعة.

يقوم علم الاجتماع الريفي بدراسة العلاقات الاجتماعية للتجمعات البشرية التي تعيش في بيئة ريفية، ويبحث في الخصائص، وأشكال الحياة، ومقوماتها الاقتصادية، وتحديد سماتها، ومقارنتها بالمجتمعات الأخرى، وقد برز الاهتمام بهذا العلم في الوطن العربي بسبب المكوّن السكاني،

والذي يمتلك فيه المجتمع الريفي حيزاً كبيراً ، وقد أصبح لعلم الاجتماع الريفي فروع منها التنظيم ،الريفي، وتنمية المجتمع الريفي

،والسياسات الاجتماعية الريفية

من الصعب تحديد سمات عامة يتميّز بها المجتمع الريفي عن غيره من المجتمعات، فهناك أمور مشتركة تجمع بين أهل الريف وأهل الحضر، كالدّين، واللغة، والتراث، والقيم، وغيرها، إلا أن هناك بعض

:الخصائص التي تميز مجتمع الريف عن غيره من المجتمعات أبرزها

1- البنية الاجتماعية وتجانسها، فالمجتمع الريفي بشكل عام صغير، وبسيط في بنيته، والعلاقات فيه تقوم على القرابة ، وتجاوز حيّز المكان، وتكون متجانسةً، ومستقرةً في الغالب، ومعزولة نسبياً كجماعة ، و

سيادة العلاقات الاجتماعية الأولية وتركيزها على العاطفة

2 - ،المكون السكاني والأسري، ويتميز المجتمع الريفي بصغر حجمه السكاني، وقلة كثافته .وغالباً ما تكون الأسرة كبيرة الحجم، وذات علاقات متشعبة، وقوية

3 - البيئة الزراعية، حيث يعتمد المجتمع الريفي بشكل عام في اقتصاده على الزراعة، ويعتبرها ،المهنة الأعلى قيمة في المجتمع، كما وتسيطر البيئة الطبيعية على المجتمع، كالشمس، والهواء والمطر، وغيرها. 4- التعليم والبطالة، حيث تنتشر الأمية كثيراً في المجتمع الريفي، وتختلف نسبة التعليم ما بين الذكور والإناث، إضافةً إلى انتشار البطالة، والذي من أسبابه الاعتماد على الزراعة، والتي غالباً ما تكون

.موسمية

5- معاناة مجتمع الريف من تدني المستوى الصحي، كما ويتميزون بأنّهم أكثر قرباً من التديّن. تُشكّل العادات والتقاليد، والأعراف، النظام السياسي والإداري تسودهما البدائية، وسيطرة أفراد الطبقة العليا عليهما.

قاعدة أساسية في أفعال الأفراد.

6 - 7 -البنية الطبقية أحياناً ما تكون متوارثةً، ومرتبطة بملكية الأرض.

التغيير الاجتماعي يكون بطيئاً، ويعود ذلك إلى طبيعة السكان المحافظة.

8- ارتفاع من الناحية الديموغرافية أي السكانية تتمثل بصغر حجم السكان، انخفاض الكثافة السكانية. نسبة الهجرة الخارجية، ارتفاع معدل الخصوبة والوفيات، فضلا عن ارتفاع السكان صغار السن.

9- الانعزال المكاني و شدة الارتباط العاطفي بالأرض و محدودية في الانتقال المكاني في البيئة ذاتها.

نشأة المجتمع الريفي وتطوره.

أن المتتبع تاريخيا لوجود الانسان على الأرض منذ قديم الزمان يجده كان يعيش منفردا رفيقا للحيوانات في الغابات يقضي نهاره بالتعرف على مظاهر الارض المختلفة من حوله وهو في تجواله يبحث عن الطعام ليسد حاجته منه وأول ما استساغ بعض جذور النباتات وأوراق اخرى واحيانا يصطاد الطيور الدارجه قليلة الطيران أو التي تطير ليأكلها مستأنسا، اما ملجئه فكانت أول الأمر بعد معرفته لها في كهوف صخرية صغيرة أو جذوع اشجار متراكبة أو على اغصانها

ليحمي نفسه من المخاطر ويقي نفسه من البرد والحر. لذلك عاش الانسان في جماعات صغيرة يتحرك مرتحلا دون انقطاع لا يعرف الاستقرار ليجد نفسه متثاقلا مع افراد جماعته الذين لا يملكون نفس

قوته وتحمله في استمرارية الترحال ليستقر مضطرا بمكان واحد في ارض يراها ملائمة تتوفر فيها الحاجات التي يطلبها ويستخدمها في غذائه اليومي باحثا عن مأوى له وللافراد جماعته من النساء والرجال مستخدما بعض الاخشاب والاغصان في بناء بيته مشكلا عائلة مكونة من فردين وهي في مفهومها العلمي في الريف تعني (معيشة رجل وامراة أو أكثر معا على أساس الدخول في علاقات جنسية يقرها المجتمع وما يترتب عليها من حقوق ووجبات اجتماعية ورعاية وتربية الاطفال الذين يأتون نتيجة لهذه العلاقات 2 ولما كانت الأسرة (العائلة) هي الوحدة الاساسية في بناء القرية الاجتماعي وباستمرار النمو توسعت الأسرة واصبحت مجموعة أسر متقاربة اي مرتبطة بصلة القرابة الفعلية مكونة العشيرة ومن العشيرة حالة اشمل وهي المجتمع القروي الريفي ضمن جماعات ريفية او مجتمعات ريفية كحقيقة واقعة ظهرت بحلتها الاخيرة بعد مرورها بمراحل

متعدده يمكن ابرازها بالتالي

1 مرحلة البحث عن القوت.

تمثل هذه المرحلة البدايات الأولى لوجود الانسان على وجه البسيطة وتحركه عليها ، تميز (24) الانسان فيها من الناحية الاقتصادية بالبحث عن قوته الضروري جزء من ضروريات اشباع رغباته البيولوجية والتي تهدف الى اشباع غرائزه للبقاء والمتمثلة بالبحث عن طعامه وشرابه الضروري لاستمرارية حياته وقوة جسمه ، فضلا عن ان الانسان لا يتنظم فيها الى قانون او لاي صفة تجمع و بعبارة اخرى (نظام اجتماعي) معين كما سيرد في المراحل الأخرى وان غايته في تجمعه البسيط مع ابناء جنسه لا يفوق تامين الحماية وابعاد الخوف من المخاطر المحيطة وتوزيع الادوار فيما بينهم كجماعات لجمع الغذاء والتربية الابناء واعمال اعداد الطعام بالاعتماد في التعامل بالكلمات البسيطة والرموز الدلالية اللغوية مع ابناء جنسه كما ويعتمد على الطرق والاساليب والادوات المتاحة في بيئته المحيطة سواء للدفاع ودرء المخاطر والحماية واعمال القنص واصطياد الحيوانات فضلا عن ادوات الطبخ البسيطة والامر مختلف حسب البيئة في الغابات أو الصحاري او

السهول كناحية اجتماعية.

مرحلة الصيد والقنص 2.

تعد مرحلة الصيد والقنص حالة نمو وتطور للمرحلة الأولى نتيجة التغيرات الحاصلة في نواحي كثيرة ابرزها عندما تكونت مجموعات او تجمعات انسانية صغيرة تستمد تجمعها من امكانية الحصول على الحماية ودرء المخاطر المحيطة الا انها في الوقت ذاته هي مجموعات غير مستقرة وثابتة في مكان واحد كونه نشاط يحتاج الى البحث والتقصي والجري بحثا عن الفريسة والحركة والتنقل باستمرار وهي غالبا ماتكون عند ضفاف الأنهار والبحيرات والغابات كبيئات حاوية على ما يحتاجه الانسان لتنتهي حركته وتتوقف في المساء عائدا الى جماعته في اكواخهم او كهوفهم حيث أفراد العائلة وبصورته تظهر لنا أول بوادر التجمع والحرص على الاستقرار عند ابناء جنسه كناحية اقتصادية

اما من الناحية الاجتماعية فأن بقاء العائلة في مكان معلوم على شكل

جماعات انسانية متقاربة متواجدة في المكان والزمان ذاته دليل واضح على قوة العلاقة والتي تعرف بالقرابة الاخوة والابناء والزوجة والاعمام وابناء العم) مشكلين اسرة متحدة كانت بدايات بوادر ظهور العشيرة وتناميها لزيادة عدد افرادها والتي شكلت فيما بعد القرية التي تضم اسر او عوائل تجمعها صلات قرابة من نسل واحد ويلقبون حسب مكان تواجدهم أو نسبة الى جدهم الأول أو

لكبيرهم.

وتبقى الادوات والاشياء التي استخدمها في صيده وقنصه للحيوانات التي يقتات عليها وافراد عائلته يوميا ذاتها كما في المرحلة الأولى الا في بعض التحسينات التي ادخلها كاستخدام العصا القوية والخفيفية وربط بعض الصخور الحادة بالحبال بالعصا لتكون الة جارحة تبعد خطر الحيوانات المفترسة هذا فضلا عن الرموز اللغوية كلغات للتعامل والتحدث اليومي كناحية ثقافية.

3 مرحلة الرعي.

تعرف مرحلة الرعي لدى كثير من الباحثين بمرحلة التحول المرحلة الانتقالية) وفيها عرف الانسان مرحلة جديدة من حياته كحالة متطورة ومتقدمة المراحل اولى سبقتها وهي حياة الاستقرار في المكان دون التشرد والتجول في الصحاري والقفار والغابات والاحراش، وما الحضارة في مفاهيمها المتعددة الا اشارة الى الاستقرار في الارض وممارسة النشاطات والفعاليات اليومية والتي بدأت بالبقاء في مكان وتامين الحماية من خلال الاحتماء بالكهوف والمغارات وعمل الاسيجة لدرء الاخطار والركون الى الاماكن المرتفعة للابتعاد عن الفيضانات وخلف الاشجار لابعاد خطر الرياح والعواصف والاستفادة من مقومات وموارد البيئة المتاحة في تلبية الحاجيات اليومية الا مؤشرات دقيقة لنويات استقرار والرغبة في البقاء لتقليل الجهد في الانتقال اليومي والتعب الذي يواجه افراد العائلة لتفاوتهم في المقدرة وضعف آخرين لتقدمهم في السن أو للامراض المنهكة

والادوار ولا يعكس هذه التطورات والتغيرات الا مدى التطور الذهني والفل الذي مر به الانسان والتغيرات في المفاهيم نحو الثقافات افضل فتربية الحيوانات واستاناسها الا دليل واضح على تنامي معرفة في طريقة جذب الحيوانات والفتها واشعارها بالامان اوقات المرض وتقديم الغذاء في جوعها للحصول على منافعها

ضمن علاقات اجتماعية واقتصادية استلزمت الجهد والوقت للسيطرة عليها.

4 مرحلة الزراعة.

تعد الزراعة قمة المراحل التي مرت بها المجتمعات الريفية على الاطلاق في مسيرة طويلة عبر زمن شهدت التبدلات والتغيرات التي عاصرها الانسان من بعد فرقة وتشرد الى تجمع وقوة ضمن نظم اجتماعية واقتصادية متطورة ويرجع بعض الباحثين في مجال الاقتصاد والزراعة والاجتماع والانثروبولوجيا معرفة الانسان للزراعة كحرفة يزاولها الى أواخر العصر الحجري

القديم وبدايات العصر الحجري الحديث وخاصة في منطقة الشرق الاوسط وبالتحديد وادي الفراتين والنيل ووسط اسيا هي الاماكن التي عرفت الزراعة فالعرب والصينيون هم اوائل معرفة الاستقرار البشري والتجمع الريفي وتطورهما الذي بدأ بتربية الحيوانات واستاناسها وزراعة بعض المحاصيل الزراعية الداخلة في غذائه اليومي واشهرها القمح والشعير الذي تأصل في المنطقة ولا يزال الى يومنا هذا يشكل الغذاء الرئيس لجميع سكان العالم في المناطق الريفية والحضرية وما تبعه من تطورات

وتحسينات في عملية انتاجه.

وما الدليل على ذلك الا التطورات التي حصلت في انتشار الزراعة بعد الاعتماد عليها في الحصول على الغذاء بصورة منتظمة وتامين الاحتياجات فيها ، فالزراعة كفيل ناجح لضمان الحصول على الغذاء وعدم البحث عنه في اماكن مجهولة تحتاج العودة الى مرحلة البحث عن القوت، اذ ان الزراعة اتاحت الحصول على الغذاء بكميات كبيرة للافراد كثيرين أكبر من امكانية توفير الغذاء ليوم واحد فقط ويبقى اليوم المقبل مجهول في تامين الغذاء